

القرصنة البحرية في حوض البحر المتوسط القديم

Maritime piracy in the basin of the ancient Mediterranean

أ.ة. حداد سهام*، جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

sihemhadded2011@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023 /10/09 تاريخ القبول: 2023 /12/29 تاريخ النشر: 2023 /12/31

ملخص: تتناول هذه الدراسة المختزلة، التعريف بظاهرة القرصنة البحرية، وتاريخ أول ظهور لقرصنة العالم في البحر المتوسط القديم، فقد تحدث المؤرخون القدماء ومن أبرزهم المؤرخ الإغريقي توسيديدس عن الأسباب التي دفعت إلى ظهور ما يسمى بلصوصية البحر وعملية السطو التي تتم في البحر خلال العصور القديمة بدءا من العهد الفينيقي، ثم العهد الإغريقي والقرطاجي إلى غاية السيطرة الرومانية على بحر المتوسط القديم وجعله بحيرة رومانية. كما نوضح من خلال هذه الورقة البحثية الأساليب التي اتبعتها القرصنة في السيطرة على البحر المتوسط القديم، وذلك بغرض الخروج بمعلومات أوفر لإزالة الغموض عن موضوع القرصنة البحرية وكذا ضم هذه الدراسة إلى مشاغل البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: القرصنة، لصوص البحر، اليونان، قرطاج، البحر، الملاحة، موانئ، جزر، أسطول، بومباي، قيصر، ديونيسيوس-سيليسيا (كيليكيا)

Abstract:

This brief study deals with the definition of the phenomenon of maritime piracy, and the history of the first appearance of world pirates in the ancient Mediterranean the phoenician era, then the Greek and Carthaginian era until the end of roman control over the ancient Mediterranean sea and making it a Roman lake. We also show through this study the methods used by the pirates in controlling the ancient Mediterranean, in order to come up with more information to remove the ambiguity on the issue of maritime piracy, as well as to include this study in the concerns of scientific research.

Keywords: pirates, sea robbers, Greece, Carthage, sea, navigation, ports, islands, fleet, Pompeii, Caesar, Dionysius-Cilicia (Cilicia)

لم تحظ ظاهرة القرصنة البحرية بدراسة متخصصة على الرغم من أهميتها، إضافة إلى أنها تعتبر جانباً مظلماً من تاريخ الملاحة البحرية في البحر المتوسط القديم بشطريه الشرقي والغربي، ولا نعلم لماذا صممت عنه الكثير من المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية، فيما عدا بعض الروايات والقصص، والتي يشوبها الغموض والشك في كثير من الأحيان. ولهذا كله فإن الإحاطة الكاملة بأحداث هذا الموضوع ليس بالأمر الهين، فبالإضافة إلى شح البحوث الجادة في هذا الموضوع، فإن الكتابة الأكاديمية لتاريخ القرصنة البحرية خلال العصور التاريخية القديمة عمل معقد للغاية، كما يصعب على الباحث الخوض فيه لإبراز الحقيقة التاريخية.

من خلال ما سبق، يمكننا طرح الأسئلة التالية: ما هي ظاهرة القرصنة البحرية؟ متى ظهرت القرصنة في البحر المتوسط؟ ومن هم أوائل القراصنة بالعالم القديم؟ ما هي الأساليب التي اتبعها القراصنة في السيطرة على البحر المتوسط؟ ما هي أهم البضائع المتاجر بها؟ وما مدى تأثير القرصنة على التجارة وحركة النقل البحري القديم؟

وسنحاول من خلال هذه الدراسة بحسب ما توفر لدينا من معلومات تاريخية الإجابة على كل التساؤلات التي طرحناها آنفاً.

1- تعريف القرصنة البحرية:

القرصنة لغة ممتنها قرصان وجمعها قراصنة، وهم لصوص البحر، ويعتبر البعض أن أصل الكلمة إغريقي "Pirata" و باللاتينية "Pirate"، ومعناها محاولة العثور على الحظ في البحر "Peira" و مصدرها "Peirates"¹.

والقرصنة هي عملية سطو و سلب ترتكب في البحر وأحياناً على الشاطئ².

¹ - أحمد علو، القرصنة بين العصور القديمة وعصر التكنولوجيا، مجلة الجيش، العدد 283، 2009، ص.1.

² - المرجع نفسه، ص.1.

و قد وصف القراصنة بأنهم أولئك اللذين يجوبون البحار ليرتكبوا فيها أعمال السلب و لينهبوا بقوة السلاح في زمن السلم و الحرب، و إلى جانب القراصنة، هناك أيضا السفن الخاصة بالقرصنة³.

2- ظهور أوائل القراصنة في العالم القديم:

لم يتفق المؤرخون المحدثون على تاريخ محدد لظهور القرصنة، فهناك من يصف ظاهرة القرصنة على أنها قديمة قدم الملاحة البحرية ذاتها، بحيث يرتبط ظهورها بظهور السفن الأولى.

و في هذا الصدد، يشير بعض المؤرخين في كتاباتهم أن القرصنة البحرية ظهرت في الألف الثالث قبل الميلاد في البحر المتوسط، و تحديدا أثناء نمو التجارة البحرية بين مصر و جزيرة كريت و فينيقيا⁴.

و قد كانت القرصنة سببا في انعدام الأمن في البحار، كما في المناطق القريبة من الساحل، و التي كانت تتعرض في الكثير من الأحيان للنهب و الغارات، و قد كان على السواحل و الموانئ في كل مكان أن تحمي نفسها في وقت مبكر جدا من خلال إقامة أبراج مراقبة أقيمت على المرتفعات⁵.

كان سكان الجزر وملتات من الأعوام مهددين بخطر القراصنة اللذين كانوا يجوبون البحار من أجل السلب والنهب واللذين يتكون إيرادهم من سبي البشر وتصديرهم إلى أسواق الرقيق في المدن الكبرى من البحر المتوسط⁶.

وهكذا كان سكان جزيرة كريت هم أول من فكر في التصدي للصوصية البحر، فجهزوا أسطولا سار إلى أقصى نقطة من شرقي الجزيرة(صقلية)، كانت مهمته طرد القراصنة وتمكنوا من إحراز نجاح نسبي.

³ -بهجت عبد الله قايد، مفهوم القرصنة البحرية و شكلها في العصور القديمة و الحديثة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 1990، ص.27.

⁴ - جلال فضل محمد، القرصنة البحرية وحرية أعالي البحار، جامعة عدن، 2014، ص.16.

⁵ Malissard(A.), Les Romains Et La Mer, Ed. Les Belle s-Lettres, Paris, 2012. p32.

⁶ - ارنل برادفورد البحر المتوسط حضاراته وصراعاته، تر، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2009، ص.199.

أما عن عمليات السطو على سفن في عرض البحر، فظهرت في القرن السادس قبل الميلاد، ولعل أجواء الحروب المتعاقبة مع شمولها للسطو في البحر المتوسط خلال تلك الفترة، هو ما جعل أسلوب القرصنة البحرية يثير الإعجاب بجراً من يمارسها أكثر مما يثير السخط عليه، لاسيما وأن الغنائم لم تكن كبيرة حينها، رغم ما يروى عن كنوز القراصنة⁷.

ولن يتسنى لنا فهم هذه الظاهرة فهما تاما ما لم نقوم بدراسة مفصلة للعصور التاريخية التي برزت فيها ظاهرة القرصنة، والتي سنوردها على الشكل التالي:

-القرصنة خلال العهد الإغريقي:

ورد في كتابات المؤرخ الإغريقي توسيديدس (Thucydides)⁸ ما يلي: " عندما عرف اليونان وغيرهم من شعوب الأعصر القديمة التي كانت تقطن على السواحل أو في الجزر طريقهم عبر البحار انقلبوا قراصنة. كانوا ينقضون على المدن ينقضون على المدن غير المسورة أو المكونة من مجرد مجموعة من القرى وينهبوها"⁹.

ومن جهة أخرى، ذكر أخيل¹⁰ بطل حرب طروادة الذي خلده هوميروس على أنه كان قرصانا، فقد كانوا ينظرون إلى القرصنة في ذلك العصر نظرة تختلف تماما عن تلك التي ننظر بها إليها الآن. يعترف أخيل

⁷- جلال فضل محمد، المرجع السابق، ص. 17.

⁸- مؤرخ كلاسيكي (ولد سنة 465 ق.م – توفي بعد سنة 400 ق.م)، قام توسيديد بتأليف عمله "حروب البيلوبونيز" في ثمانية كتب، والتي تتناول الصراع العسكري بين أثينا وإسبرطة، 404-431 ق.م...لمزيد من المعلومات ينظر: Barkaoui(A.H.), La marine Carthaginoise, approche des activités militaires des Carthaginois sur mer depuis les origines jusqu' en 146av.J-C.L'Or du temps,Sfax,2003,p.39.

⁹- ليونال كاسون، رواد البحر، تر، جلال مظهر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1959، ص ص. 58-57.

¹⁰- أخيل: في الأساطير اليونانية، بطل الألياذة. و محارب إغريقي بارز في حرب طروادة. ابن بيليوس و تيثس إلهة البحر...لمزيد من المعلومات ينظر، مجموعة من المؤرخين، الموسوعة العربية الميسرة، مج.1، المكتبة العصرية، بيروت، 1965، ص.163.

في الإلياذة بأنه احترف القرصنة ، وينشد بطل آخر من أبطال هوميرو هو أوديسي في الفخر بمآثر في القرصنة أمام الكينوي¹¹.

يرى ماخوفسكي، أن بوليقراط طاغية جزيرة ساموس (522-537 ق.م). استطاع أن يبني أسطولاً ضخماً بمقاييس عصره سيطر به دون منازع على بحر إيجه، وقد فاق بذلك كل قراصنة العالم القديم¹².

يمكن أن نصف بوليقراط على أنه كان طموحاً إلى أبعد الحدود، اشتهر كطاغية لا يعرف الرحمة، ذاع صيته من ناحية كراع للفنون و العلوم وجذب إلى بلاطه أبرز الشعراء و الفنانين و الأطباء، وجلب المعمارين للبناء و تشييد المباني الفخمة. لكنه من ناحية أخرى، اكتسب سوء السمعة باعتباره قرصاناً، فبعد أن استولى على ساموس¹³ بمساعدة إخوته، شرع على الفور في قتل أخيه بانتاجنوت، بينما قام بنفي الآخر سيلوزدن حتى يجمع السلطة كلها في يديه، ولكي يضاعف ثروته احترف النهب البحري وفرض إتاوات ضخمة على السفن¹⁴.

والجدير بالذكر من خلال ما سبق، أن مثل هذا العمل لم يكن استثناء في عصر بوليقراط، وإنما دخل في ترسانة الوسائل المطبقة في كل مكان لإدارة السياسة والتجارة التي كانت القرصنة أحد عناصرها. على أن طاغية ساموس تميز عن أقرانه، ومارس القرصنة إلى الحد الذي دفع ببعض المؤرخين للقول، ، بأن بوليقراط هو أعظم قراصنة العالم القديم .

في سنة 522 قبل الميلاد لجأ طاغية آخر من بلاد فارس يدفعه الخوف من جيروت جزيرة ساموس الأخذ في التعاطف إلى خيانة بوليقراط غدرا في ماجنيسيا، ثم قام بصلبه. أدى مصرع طاغية ساموس. إلى

¹¹ - ياتسيك ماخوفسكي، تاريخ القرصنة في العالم، تر. أنور محمد إبراهيم، ص. 19.

¹² - المرجع نفسه، ص. 22.

¹³ - ساموس: جزيرة ببحر إيجه باليونان، إحدى جزر مجموعة سبوراديس، جبلية في معظمها استوطنها حوالي القرن 11 ق.م، يونان أيونيون ازدهرت تحت حكم بوليقراتس (بوليكراتس) خلال القرن 6 ق.م، اشتهرت بصناعة الفخار اليوناني القديم ذو اللون الأحمر الغامق... لمزيد من المعلومات ينظر، مجموعة من المؤرخين، الموسوعة العربية ...، ص. 1781.

¹⁴ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص. 22.

اشتداد أعمال النهب البحري في الجزء الشرقي للبحر المتوسط. ظلت القرصنة تمارس على نطاق واسع بعد موت الطاغية بوليقرط، بحيث ظهر قراصنة جدد يشكلون خطراً كبيراً على كامل البحر المتوسط .

وقد قام أحد حكام جزيرة كريت بإرسال أسطول له بأكمله للقضاء على القرصنة البحرية. كان هذا الحاكم قد مارس هو نفسه القرصنة لفترة من الزمن على غرار بوليقرط، ومن ثم فقد شكل خطراً على أعدائه: إذ أنه كان على دراية تامة بعادات وحيل القرصنة، ناهيك عن إعداداته لأسطوله هائل من أجل هذه المهمة. تميز حاكم كريت بالعناد الشديد والشراسة في القتال¹⁵.

ظهرت شخصية جديدة استولت على السلطة في سيراكوزا، وقادت الصراع ضد قرطاجة، هذه الشخصية في شخصية الطاغية دينيسيوس (Dionysius) أو ديونيسيوس الأكبر (367-430 ق.م)، الذي كان سياسياً محنكاً، أصبح طاغية (406 ق.م)¹⁶. لقد كان قائداً لمجموعة من القراصنة الذين أتوا من شرق بلاد الإغريق إثر الثورة الأيونية، واستوطن صقلية وامتحن فيها حرفة القرصنة ضد السفن القرطاجية و الأتروسكية في المنطقة¹⁷، رأى هذا الرجل أن الأمور تسير في غير صالح سيراكوزا، فبادر إلى طلب الصلح من القرطاجين وفق شروط ارتضوها هم¹⁸.

وبإيقاف هذه الحرب وإنقاذ سيراكوزا، و كان لظهور ديونيسيوس أثر بالغ في تجديد الصراع العنيف بين القرطاجيين و اليونانيين الصقليين. تميز هذا الأخير بقدرته على كسب ثقة أهل سيراكوزة، وذلك بالعمل على تحقيق الإنتصارات الحربية لسيراكوزة¹⁹.

وما إن اكتملت استعداداته حتى بدأ يثير متاعب للقرطاجيين في المدن الصقلية، و ما إن جاء عام 398 ق.م، حتى أعلن الحرب على الوجود القرطاجي فيها، و أرسل إلى قرطاجة يطلب منها إلغاء المعاهدة

¹⁵ - المرجع نفسه، ص.23.

¹⁶ - محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص.245.

¹⁷ - الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص.1589.

¹⁸ - مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م و اثره على الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية و الدينية، مجلس الثقافة العام، دون تاريخ، 147.

¹⁹ - رشيد الناضوري، المغرب الكبير، العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية و السياسية، دار النهضة العربية، ج1، بيروت، 1981، ص.197.

الموقعة بينهما، و الرحيل عن صقلية، ومنح المدن الاغريقية التي نصت عليها تلك المعاهدة حريتها، و إذا لم تقبل تلك الشروط فإنه يعلن الحرب عليها. وبالفعل اصدد الطرفان في معارك دامية²⁰. وتجدد الصراع بينهما عام 392-393 ق.م، ولكن دون نتائج حاسمة. واستمرت الحرب بين مد و جزر حتى وفاة الطاغية دينيسيوس عام 367 ق.م، حيث خلفه ابنه دينيسيوس الأصغر(خلف أباه 367-366ق.م)²¹ الذي كان على خلاف والده، فلم يكن محبا للحرب، كان راعيا للفنون و الآداب و حاول كسب ود القرطاجيين، ولكن دينيسيوس الابن لم يهنأ بالحكم لفترة طويلة، حيث قامت ثورة ضده لوجود كثير من الطامعين في العرش في الجزيرة.

و بهذا كان دينيسيوس الأب من أشهر قراصنة البحر الذين جاءوا إلى جزيرة صقلية عقب الثورة الأيونية وامتنع القرصنة على شواطئ الجزيرة ضد كل سفينة غير إغريقية²².

ساعد نمو القرصنة في تطور فن الملاحة البحرية خلال تلك الفترة. كان الناس قديما يبحرون بالأشعة نهارا فقط بمحاذاة السواحل حريصين على أن لا تغيب عن أعينهم، وما إن يرخي الليل سدوله حتى يحتموا بإحدى الخلجان القريبة خوفا من تغير الظروف الملاحية.

دأب القراصنة على التربص بضحاياهم وسط الجزر الصخرية لبحر إيجه و كذلك في خلجان شبه جزيرة بيلوبونيسوس جنوب اليونان ليقوموا بالهجوم المفاجئ عليهم ليلا. كان القراصنة يمارسون السلب و النهب في المدن القريبة من الساحل مثلما كان الفايكينج يفعلون في العصور الوسطى.

كان باستطاعتهم سرقة الماشية و الأدوات المنزلية و لوازم المعابد و المصنوعات و الحلي الثمينة فضية والذهبية، ولكن الأهم من ذلك كله النساء و الأطفال حيث يباعون بأسعار باهضة في أسواق الرقيق المنتشرة في بلدان البحر المتوسط، حيث كان تجار الرقيق يفضلون الفتيات والأولاد الذين يمكن تدريبهم على الأعمال المنزلية و الأشغال الشاقة، عن بحارة السفن التجارية الذين أنهبهم البحر. كما أنه لم يكن هناك من داع لمهاجمة السفن من أجل الحصول على المجذفين، ذلك أن هؤلاء القراصنة كانوا أقرب إلى الفايكينج منهم إلى القراصنة الأتراك. كان كل منهم مقاتلا و مجذفا في نفس الوقت. كانت تجارة

²⁰- مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص.147.

²¹- رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص.199.

²² - مفتاح محمد سعد البركي، المرجع السابق، ص. 153 .

الرقيق في ذلك العصر أهم أغراض القرصنة²³. ولقد استمرت كذلك لعدة قرون ، كان الانقضاء فيها على سفن تحمل حمولات ثمينة أمرا لا نقاش فيه²⁴، كثيرا ما كان نجاح الإغارة على السفينة يتوقف على المصادفة، حيث كان من المحتمل أن تكون شحنتها من أحجار البناء مثلا أو لب الاخشاب أو الفخار الرخيص وهي من البضائع التي لا تمثل أهمية كبيرة بالنسبة للقرصان، بل إن السفينة أحيانا ما تكون خالية من البضائع²⁵.

-القرصنة البحرية خلال العهد الفينيقي:

في بداية الألف الأولى قبل الميلاد انحصر ما تبقى من التجارة في أيدي رجال البحر الفينيقيين، حيث عملوا بتسويق البضائع حتى تمكنوا من تحقيق مركز احتكاري في تجارة الأحجار الكريمة. حملت مراكب تجارهم المواد الأولية كالقصدير من إنجلترا وقام هؤلاء التجار بعمليات التبادل التجاري بين شمال إفريقيا و اسبانيا و بلاد الغال.

يجب الإقرار أن الفينيقيين كانوا يملكون من الثراء بحيث لم يكن من المستطاع إلا أن يثيروا مشاعر الغيرة لدى جيرانهم الأقل حظا، الأمر الذي دفع أبناء²⁶ الذين تميزوا بعلو الهمة و قوة العزيمة إلى الاشتغال بالقرصنة . وهكذا كلما صار تطور التجارة إلى الأفضل بالنسبة للفينيقيين و ازدادت الثروات المنقولة على مراكبهم، اشتدت عملية السطو في بحر إيجه . وبفضل السخاء الذي كان الفينيقيون يدفعون به الأموال للصوص البحر في هيئة فدية و تعويضات ، ازدهرت القرصنة على نحو غير مباشر في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط :لقد أصبح القراصنة في واقع الأمر شركاء للفينيقيين في تجارتهم؛ إذ يحصلون منها على نسبة محددة مما يحققونه من أرباح . لم يسع الفينيقيون بسبب تركيبتهم العقلية كتجار إلى القضاء على النهب البحري، وإنما ضاعفوا اهتمامهم بزيادة ثروتهم²⁷.

تخبرنا الروايات القديمة أن الفينيقيين لم يكونوا يتخرجون في بعض الحالات من اجتذاب بعض الأطفال أو صغار البنات وقت الرحيل إلى سطوح مراكبهم، ثم كانوا يبيعونهم بعد ذلك بصفة

²³ - ليونال كاسون، المرجع السابق، ص. 57.

²⁴ - المرجع نفسه ، ص. 57.

²⁵ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص. 25.

²⁶ - هو اسم اليونان باللغة اليونانية... لمزيد من المعلومات ينظر: المرجع نفسه، ص. 36.

²⁷ - المرجع نفسه، ص. 24.

رقيق في أية مملكة بعيدة ولا شك في أن هذه العمليات كانت عرضية فردية وإلا تحتّم أن يعرض الفينيقيون أنفسهم إلى جواز تحريم كل البلاد على أنفسهم. الحضارة الفينيقية²⁸.

-القرصنة خلال العهد القرطاجي:

كانت الاساطيل القرطاجية أو اليونانية قبل الحرب البونية الأولى تأتي في كثير من الأحيان لتخريب السواحل الإيطالية، و كانت المعاهدة التي وقعها روما و قرطاج عام 348 قبل الميلاد، تنص على وجه الخصوص على أن الرومان سيمنعون عن ممارسة القرصنة²⁹.

أسفر التحالف القرطاجي الأتروски عن هزيمة اليونان الأيونيين الذين كانوا قد اتخذوا من الأليا (Alalia) في كورسيكا قاعدة لهم ومارسوا القرصنة حتى أضروا بتجارة البحر المتوسط، فلم يجد القرطاجيون و الأتروسكيين بدا من التصدي لهم وهزمهم في معركة الأليا البحرية سنة 535ق.م. وكان هذا حدثا بالغ الأهمية لأنه أوقف التوسع اليوناني في كورسيكا و سردينيا³⁰.

وكانت الملاحي الأخيرة لهذه القرصنة هي الشواطئ الباربريسكية Barbaresques. وقد تعاطاها القرطاجيون مثل حلفائهم الاترويين، كما تعاطاها الإغريق والليغوريين Ligures و الليباريون Lipariens وغيرهم أيضا. ولم يكن هؤلاء للصوص يكتفون بإيقاف السفن التي يلاقونها، بل كانوا ينزلون إلى اليابسة، و غالبا ما يكونون أساطيل قوية جدا³¹ لمهاجمة المدن و إلزامها بأداء الأتاوات. وحتى الدول، فإنها لم تتردد في أن تعمل مثلهم للشعوب التي لم تكن مرتبطة معها بمعاهدات³².

²⁸ - جورج كونتنو، المرجع السابق، ص. 361.

²⁹ - Malissard,(A.),Op-Cit,p.33.

³⁰ - المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص. 74.

³¹ - مثل جميع القراصنة استخدم الاليريون قوارب سريعة و حقيقية تحتوي على صف أو صفيين من المجاديف و مجهزة ب شراع مثلث كبير يسمى "الشراع اللاتيني"، أخذت هذه السفن الصغرى إسمها من إسم الشعب اللاليري من اللينبورنيين أطلق عليهما إسم "ليبوري" و أصبح هذا الإسم فيما يعد هو إسم جميع القوارب الخفيفة التابعة للأسطول العسكري الروماني...لمزيد من المعلومات ينظر، Malissard,(A.),Op-Cit,p.36.

ولم تكن قرطاجة لتسكت عن هذه الجرائم التي تقع ضد تجارها وممتلكاتها، و التي تهدد بإتلاف خيرات الأراضي التي كانت تدعي استغلالها. و بالطبع استخدمت بحريتها الحربية لحماية الطرق التجارية و الموانئ وشرطة للوقاية والردع. و المذنبون الذين يقبض عليهم كانوا يعاقبون بقسوة شديدة، حتى ولو مر على جنائهم زمن طويل. و للدفاع عن الشواطئ فقد أقيمت حصون عديدة كانت تراقب البحر وتتبادل الإنذار بالخطر فيما بينها. وكان العديد من هذه المراقب موجودا في إفريقيا واسبانيا في عهد السيطرة الرومانية، ويفضلون أن يطلق عليها اسم (حصون حنبعل). وهي تسمية شعبية يجب أن لا تعطى أية قيمة تاريخية³³.

وكذلك، فإن القرصنة كانت موضوعا لاتفاقيات دبلوماسية. تلك هي هذه الاتفاقيات التي تعهد بها القرطاجيون والأتروبيون أن لا يسيئ بعضهم للبعض. و نقرأ في المعاهدة الأولى مع روما ما يلي: (القرطاجيون لا يحدثون أي سوء لأهل أردي Ardée، و أنتيوم Antium، و لورنتي Laurente، و سرسي Circéi، و طراسين Tarracine، ولا لأي موقع آخر للاتينيين الخاضعين لروما. أما من ليسوا خاضعين لها، فإنهم يعيدونها سليمة للرومان، وإنهم لا يبنون أي حصن في أرض اللاتين، و إذا دخلوا لهذه الأرض بصفتهم أعداء، فإنهم لا يقضون بها الليل). وهذه مادة يقصد بها منعهم من التقدم إلى أبعد من الساحل). إذن فقرطاجة كانت تتعهد بفرض بعض القيود على قراصنتها، وبمراقبتهم بنفسها. فيبدو جيدا ان هذه المواد كانت على الخصوص تقصد حملات رسمية، أو شبيهة بالرسمية لمؤسسات قطع الطرق العامة. و مقابل ذلك، لا شك كانت توجب على الرومانيين أن لا يسيئوا إليها. ولو أن الإتفاقية لا تنص على ذلك بالفاظ صريحة³⁴.

أما المعاهدة الثانية، فتذكر بإيضاح الشروط المشتركة بين الطرفين، وهي: (فيما وراء المرتفع الجميل ومستيا ترسيون Mastia de Tarséion فإن الرومان لا يغنمون مغانم... والقرطاجيين إذا استولوا في اللاتيوم على مدينة غير خاضعة للرومانيين، فإنهم يملكون ثروات هذه المدينة و أهاليها، ولكنهم يعيدون المدينة. و إذا استولى بعض القرطاجيين على ناس ليسوا تابعين للرومانيين. ومع ذلك، فلهم مع هؤلاء معاهدة سلام مكتوبة فلا يأخذونهم إلى موانئ الرومانيين، و إذا سيق لها أحد هؤلاء الأسرى و طالب به أحد الرومانيين، فإنه يطلق. والرومانيون من جانبهم يكونون ملزمين بنفس الشروط. وإذا اخذ أحد

³² - ستيفان قزال، المرجع نفسه، ج. 4، ص. 99.

³³ - المرجع نفسه، ص. 99.

³⁴ - المرجع نفسه، ص. 100.

الرومانيين الماء والمؤن من أرض تابعة للقرطاجيين، فيجب أن لا يستعمل ذلك لإحداث الضرر لأي واحد ممن هم في سلام وصداقة مع القرطاجيين. ونفس المنع يقع على القرطاجيين. وإذا قام أحد بهذه الأعمال الممنوعة، فالمرء الذي لحق به الضرر، لا يأخذ حقه بيده، بل يصبح الضرر عمومياً³⁵.

ويفهم مما سبق، أنه إذا قام روماني بأحد أعمال القرصنة فالمنكوب يقدم دعواه للدولة القرطاجية التي تقوم مقامه وتبعث بشكواها إلى الدولة الرومانية، وهذه تعوض عن الخسائر، ويحق لها أن توقع على المذنب الجزاء الواجب، ونفس الإجراء يطبق دائماً وأبداً إذا كان الجاني قرطاجياً³⁶.

تجدر الإشارة هنا، إلى أن عملية القرصنة لا يمكن أن تكون من عمل المدن البحرية الكبرى، مثل سيراكوزا أو مارسيليا. لقد كان القراصنة بطبيعتهم عدييي الضمير، كما كان على قرطاجة قمع النشاط الخطير الذي يمارسه هؤلاء القراصنة بما أنهم يهددون تجارتهم البحرية في هذه المنطقة على الأقل، مع وجود مصالح مشتركة مع قرطاج، كانت هذه المدن أكثر استعداداً للتعاون معها في قمع قطاع الطرق البحرية.

كانت هناك مجتمعات مضطربة على ساحل بلاد الغال، لكنهم مع ذلك كانوا قادرين على تشغيل عدد قليل من السفن. أما بالنسبة للحوض الشرقي للبحر المتوسط فلم يكن أكثر أماناً، وإذا كثرت القراصنة على الساحل الألباني، فإن الأرخييل لم يكن خالياً من قطاع الطرق.

اختلفت القراصنة في أصولهم، كما اختلفوا في أساليبهم، مثل الليغوريين و عدد كبير من اليونانيين، عملوا بالقرب من سواحلهم بقوارب خفيفة³⁷ لم تكن خطيرة

باستثناء السفن التي أجبرت على البحث عن ملجأ على سواحلها، كما أن التخطيط الحكيم للطرق جعل من الممكن في معظم الأوقات تجنب منطقة سيئة الشهرة.

³⁵ - المرجع نفسه، ص.100.

³⁶ - المرجع نفسه، ص.101.

³⁷ - Demerliac(J.G)et Meirat(J.), Hannon et L'empire Punique,ed.Les belles lettres,1983,P.192.

كانت الصعوبة الأولى في العثور على فرائسهم وبحسب المثل القديم : البحر كبير و القوارب صغيرة . محاولة اعتراض السفن قبالة السواحل التي نعرف فقط مسارها تقريبا ليست بالمهمة السهلة ، كان القراصنة سيأكلون المال بدلا من كسبه . لذلك اضطروا للذهاب وانتظار سفن قرطاج عند نقاط العبور الحتمية، وعبور المطبات في المضائق و الأماكن التي يرتادها التجار، الامر الذي يتطلب أن تتمتع سفنهم باستقلالية كبيرة إلى حد ما، منذ حوالي أشهر. في الواقع ، لم يتمكنوا من المخاطرة بالحصول على الإمدادات في ضواحي مناطق الصيد الخاصة بهم، وذلك بفضل التواطئ المحلي، وهو أمر محتمل، ولكنه خطير للغاية: كان على القرطاجيين، الذين كانوا يعرفون كيفية استخدام أموالهم، أن يدفعوا للمخبرين الذين يمكنهم إبلاغهم عن القراصنة، و أفضل حتى أولئك الذين جلبوا لهم الرؤوس³⁸.

-القرصنة خلال العهد الروماني:

كان القراصنة يحاصرون المدن ويدمرون الجزر ويجبرون السكان على دفع الاتاوات. أما الذين كانوا يقعون في الأسر فهؤلاء لم يكن سراحهم ليطبق من دون فدية باهضة أو يباعون كعبيد. وقد وصلت الجرأة بالقرصنة إلى حد أنهم أقدموا على الهجوم على أوستيا ذاتها. مارس القراصنة إبان رسو مراكبهم على الشواطئ قطع الطرق. وقد حدث ذات مرة³⁹. أنهم تمكنوا إبان وجودهم بالقرب من أبواب روما نفسها أن يقبضوا على قاضيين من قضاة روما ومعهم مساعدتهما. أصبح السفر بحرا أمرا محفوفا بالمخاطر كما أصبحت العمليات التجارية التي يقوم بها الرومان تدريجيا تدر أرباحا أقل. ارتفعت الأسعار في إيطاليا و بدأ الناس يحاصرون مجلس الشيوخ متهمين إياه بالعجز في محاربة القرصنة. اضطرت مجلس الشيوخ إلى توجيه بعض الحملات ضد القراصنة، غير انها لم تكلل بالنجاح. وصل الأمر إلى حد أن القراصنة استطاعوا في القرن الأول قبل الميلاد إلى تعويض روما لحصار بحري، حصار بكل معنى الكلمة.

حتى ذلك الحين، لم يبلغ الرومان ما بلغه أعداؤهم الإغريق والفينيقيون مستوى رفيع في فنون الملاحة البحرية. لقد ترك الرومان أمور التجارة البحرية في أيدي الغرباء الذين استأجروهم من بين أبناء الشعوب التي تم لهم اخضاعها، إذ لم تكن لدى الإيطاليين أية تقاليد بحرية. كما أن روما لم يكن بمقدورها بناء أسطول قوي في زمن قصير، هذا إضافة إلى الخلافات و النزاعات الداخلية في روما نفسها خلال تلك الفترة.

³⁸ Ibid.p.192.

³⁹ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق. ص.25.

فدخلت روما في الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين أنصار ماري من ناحية و أنصار سولا من ناحية أخرى. وقد عمد لصوص البحر إلى استغلال هذا الضعف لدى الجمهورية الإيطالية حتى بلغ الحصار أشده حين أصبح الثلث فقط من إجمالي كمية الحبوب المستوردة من مصر يصل إلى روما، بينما يقع الباقي في أيدي القراصنة. وهكذا، أصبح شبح المجاعة يحوم حول العاصمة المتكبرة⁴⁰.

وما إن حل عام 82 ق.م، أصبح الجنرال سولا حاكما على روما، عاش سولا في رعب دائم بسبب رغبته في الحفاظ على سلطته تلك، الأمر الذي دفعه إلى ملاحقة أعدائه ومنافسيه على الحكم و على رأس هؤلاء كان ماري و الذي كان يدعى يوليوس قيصر، ينتسب إلى واحدة من عائلات روما الأروستقراطية صاحبة النفوذ الواسع، تميز هذا الأخير بالكفاءة والثروة و النفوذ، حيث رأى فيه الديكتاتور سولا خطرا عليه فقام بنفيه. في جزيرة رودوس⁴¹.

يروى المؤرخ بلوتارك (Plutarque)⁴²، أن يوليوس قيصر وقع ضحية للقراصنة السيليسيين في كيليكيا⁴³ الحالية في طريقه إلى المنفى عام 75 ق.م ، وسجن في إحدى جزر الدوديكانيز، (جزيرة فارماكوزا، بالقرب من ساحل آسيا الصغرى شمال من ميليتس) في بحر إيجه) وبقي هناك ما يقرب من أربعين يوما⁴⁴

⁴⁰ -المرجع نفسه، ص.26.

⁴¹ -المرجع نفسه.ص.30.

⁴² - يخبرنا بلوتارك (50-120م) عن البحرية القديمة، كما يعطينا وصفا جيدا عن السفن الأثينية، ويزودنا بمعلومات مهمة عن المنافسة القرطاجية الاغريقية في صقلية...لمزيد من المعلومات ينظر: Barkaoui(A.H.),op-cit,pp.42-43.

⁴³ -كيليكيا: موجودة حاليا في تركيا(منطقة أضنة)، هي جبال طوروس و جبال أمانوس و البحر المتوسط. الجزء الشرقي من قيليقيا المسى كيليكيا كروز، هو سهل خصب كبير و عاصمة طردس...لمزيد من المعلومات ينظر: Malissarde,op-cit,p42.,

⁴⁴ - Reddè(M.)et Golvin (J-C), Voyage sur la Méditerranée romaine,ed.Errance,Paris,2005,p.41.

، و طالب خاطفوه بفدية قدرت ب عشرين تالنت من الذهب⁴⁵. و لما كان يوليوس قيصر يقدر نفسه غاليا، فقد رفض هذا العرض وطلب من القراصنة أن يرفعوا قيمة الفدية إلى 50 تالنت من الذهب. وبالفعل، فقد رفع القراصنة قيمة الفدية التي تم دفعها ثمنا لحرية القائد الشاب يوليوس.

وردا على ما قام به القراصنة في حق قيصر، عمد هذا الأخير إلى شن حملة بحرية بعد ذلك ، حيث قبض على القراصنة و قام بإعدامهم، ثم واصل رحلته إلى المنفى لجزيرة رودوس⁴⁶.

كانت مواقع القرصنة الرئيسية تتمركز آنذاك في كل من جزيرة كيليكيا (Cilicie)، الذي يطلق عليه القسبة الهوائية، اختاره كمكان مشترك، كان لديهم الحصون والموانئ و الجزر المهجورة في أماكن أخرى، لكنهم اختاروا كيليكيا كمكان اجتماعهم الرئيسي، هذا الجزء من الجزيرة و بسبب تكوينه الجبلي الوعر، اختاره القراصنة لكونه من دون ميناء، و أنه مرتفع في الجبال العالية لهذا سمووا بالسيليسيين⁴⁷. و بامفيليا و إيساوريا، كانت كيليكيا الواقعة تحت وصاية القيصر البونتي ميريديتات تمثل أشد أعداء روما، و قد أخذت حالات السطو المتفرقة تتحول بالتدرج إلى حرب منظمة، إذ أن ميريديتات قدم ملجأ للصوص البحر في موانيه بل و قدم لهم سفنا ليتمكنوا بها من تحقيق أكبر نجاح في حربهم ضد روما. هكذا وجدت روما نفسها وجها لوجه أمام خطر الموت، عندئذ أوقفت أعمال التنكيل في الداخل ثم شرعت في مواجهة خطر القراصنة⁴⁸.

دخلت روما في هذه الفترة في صراع لا ينتهي ضد الملك بونت للسيطرة على آسيا الصغرى، ولم يجد الملك ميريديتات أمامه سوى التحالف و الاستعانة بالقراصنة الصقليين الذين كانوا يملكون أسطولا يزيد تعداداه عن ألف سفينة.

⁴⁵ - الثالث : هو وزنة كانت تقدر في تلك المرحلة ب 25 و 30 كلف من المعادن، وهو أكبر وحدة نقدية في اليونان وفي الإمبراطورية الرومانية... لمزيد من المعلومات ينظر: ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص.37.

⁴⁶ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص.35،+ Redèe(M.)et Golvin(J-C),op-cit,p. 41.

⁴⁷ , -Sartre(M.)et Tranoy(A.),La Méditerranée antique, III av J-C-III,2eme èd,Armand Colin ;Paris,1990,p.60.

⁴⁸ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق ، ص.27.

في البداية بنوا المراكب الشراعية، ثم السفن بإثنين أو ثلاثة صفوف من المجاذيف، تحت قيادة زعيم القراصنة الذين كانوا مثل جنرالات الجيش، حيث استولوا على المدن الغير محصنة، واختطفوا أغنى المواطنين إلى مخابئهم و طالبوا بفدية منهم، واعتبروا غنائمهم جائزة للحرب وكان لديهم حرفيون مقيدون بالسلاسل في مهمتهم وجلبوا لهم باستمرار المواد والخشب و النحاس و الحديد. لتغيير طريقة حياتهم وهم الآن يعتبرون أنفسهم ملوكا و أسادا و جيوشا قوية، و كانوا يعتقدون أنهم لو توحدوا لكانوا جيوشا لا تقهر فبنوا القوارب وجميع أنواع الأسلحة⁴⁹. بفضل هذا الدعم تمكن الملك ميثريدات من التغلغل في الأراضي الإغريقية و الاستيلاء على أثينا وعدد من الجزر في بحر إيجه (استولى على مقاطعة آسيا)، لذلك نهبا بكل الطرق، و أرسل القراصنة في البحر، في البداية أبحروا مع بعض السفن، فقاموا بمضايقة الناس مثل اللصوص. بعد أن حققوا مكاسب كبيرة، ولم يتخلو عن هذه اللعبة حتى عندما هزم وانتحر ميثريدات سنة 63 قبل الميلاد⁵⁰. نظرا لأنهم فقدو مصدر رزقهم ووطنهم بسبب الحرب كانوا يجوبون البحار بدلا من الأرض⁵¹.

وهكذا، وفي وقت قصير جدا أصبح القراصنة عشرات الآلاف، فسيطروا ليس فقط على شرق البحر المتوسط، بل على كامل البحر المتوسط إلى أعمدة هرقل، بعدما هزموا الجنرالات الرومانية في الاشتباكات البحرية. و بالتالي، لم يكن البحر قابلا للملاحة بأمان وظلت الأرض دون مراقبة بسبب انعدام العلاقات التجارية، وتعرضت روما نفسها إلى المعاناة، و أصبحت تعاني الجوع بسبب لصوص البحر الذين أعاقوا طرقهم التجارية⁵².

لعل السفر في البحر المتوسط في سبعينات ما قبل الميلاد يشكل مخاطر أخرى، غير تلك المتعلقة بالملاحة، ومما لا شك فيه أن البحر مليئا بالقراصنة الذين تسببوا في مشاكل كبيرة، لدرجة أنها أدت في بعض الأحيان إلى انهيار العلاقات البحرية. لم تعد امدادات روما تصل، فقد تم احتجاز الأفراد للحصول على فدية، كما يتضح من مثال

⁴⁹- Sartre(M.) et Tranoy(A.), op-cit,p.60 .

⁵⁰ - ارنل برادفورد، المرجع السابق ، ص.277.

- ⁵¹ Sartre(M.) et Tranoy(A.), op-cit,p.60.

⁵²-Sartre(M.) et Tranoy(A.), op-cit ,p.60.

قيصر. كانت هذه القرصنة العظيمة بسبب الإهمال الذي أظهره مجلس الشيوخ للبحرية، بمجرد السيطرة على البحر المتوسط⁵³.

و في سنة 67 قبل الميلاد، قامت روما بتكليف بومبي⁵⁴ بمهمة شن حملة بحرية كبيرة لمهاجمة القراصنة و القضاء على أسطولهم و مخابئهم. حمل بومبي مسؤولية قيادة القوات في كل أنحاء البحر المتوسط، فأصبح يقود أسطولا مكونا من 500 سفينة حربية، وجيش قوامه 120.000 ألف رجل، و 5000 حصان، و 24 ملازم⁵⁵. ولأن الرومان لم تكن لهم دراية كافية بفنون الملاحة البحرية، استعان بومبي بأصحاب الخبرة من أبناء الشعوب التابعة لروما لكن عددهم كان قليل حينها.

قرر بومبي مهاجمة أكبر مراكز القراصنة جميعا في وقت واحد، ولتحقيق هدفه قسم الجزء الغربي للبحر المتوسط إلى ثلاثة عشرة منطقة: عين لكل فرقة سربا و أفرد لكل منها قائدا⁵⁶، بعد أن وضع تحت إمرته عدداً من السفن، بهذه الخطة الاستراتيجية وجه بومبي عددا من الضربات إلى سواحل كل من إسبانيا و فرنسا و إفريقيا و صقلية و سيردينيا، على أنه أجل تصفية الحسابات مع أقوى أوكار القراصنة الموجودة في بحر إيجه و على سواحل آسيا الصغرى إلى وقت لاحق⁵⁷.

قاد بومبي العملية بنفسه عند الساحل الافريقي، و قام بطرد القراصنة من الجزء الغربي للبحر المتوسط، وفي الوقت نفسه وجه أسطوله إلى الجزء الشرقي للبحر، وذلك حتى يتسنى له التحكم في البحر المتوسط اجتاح الرومان جزيرة قبرص ومصر، و بالفعل، انسحب هؤلاء لاجئين للاختباء في متاهات الجزر و الخلجان الطويلة الضيقة. و بهذا عادت الطرق البحرية تمارس حريتها من جديد بعدما غاب القراصنة عن البحر المتوسط⁵⁸

⁵³- Redèe(M.)Golvin(J-C) , op-cit, p41.

⁵⁴- وفقا لشهادة بلوتارك ولد بومبي في كيليكيا في القرن الثاني قبل الميلاد...لمزيد من المعلومات ينظر، - Redèe(M.)Golvin(J-C) , op-cit, p41

⁵⁵ - Ibid, p.41.

⁵⁶- ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص. 27 و Redèe(M.) Golvin(J-C),Op-cit p.41

⁵⁷ - المرجع نفسه، ص.28.

⁵⁸ - فضل محمد جلال، المرجع السابق، ص.22.

استطاع بومبي تحقيق انتصارات على قراصنة البحر المتوسط في ظرف قياسي قدر بثلاثة أشهر، كان هذا الانتصار تاريخيا بالنسبة للرومان أنفسهم. لقد تم أسر عشرين ألف قرصان، عدا عشر آلاف آخرين لقوا حتفهم في ميدان المعارك. إن هذه الأرقام ذاتها تدل دلالة واضحة على مدى ما كان عليه القراصنة من قوة، لقد تم تدمير أسطولهم وتم الاستيلاء على موانئهم⁵⁹.

و بالفعل، اتخذ بومبي من كيليكيا (قيليقيا) قاعدة له بعد الانتصار الذي حققه، ليس هذا فحسب بل قام بإطلاق سراح العديد من القراصنة الذين تم أسرهم، و تم نفيهم إلى أوروبا بعيدا عن سواحل البحر حتى لا يعودوا إلى ممارسة نشاطهم من جديد⁶⁰.

وحتى لا نكون محجفين في حق الرومان يجب علينا أن نعترف بأن محاولة السيطرة على البحر المتوسط في عهد الجمهورية، قد جعلت من المتعين أن يكون هناك إدراك أن الأرض و البحر تجمعهما وحدة واحدة. ولكن مع ذلك قام الرومان بالسيطرة على البحر ومنعوا غيرهم من الانتفاع به و ادعوا أن من حقهم فرض السيطرة على البحر المتوسط و أطلقوا عليه اسم بحرنا (Mar Nostrum)⁶¹. ولم تكن السيطرة على سيليسيا موطن القراصنة في جنوب آسيا الصغرى بأقل أهمية من الانتصارات عليهم في البحر⁶².

من خلال كل ما سبق يمكن القول، أنه بفضل ما حققه بومبي و قيصر، تخلصت شعوب البحر المتوسط لمدة من الزمن من خطر القراصنة، غير أنه بعد موت قيصر في 15 مارس من عام 44 ق.م، عاد القراصنة لنشاطهم من جديد، إزدادت قوتهم كلما تراخت قوة الإمبراطور الجالس على عرش روما. وقد استمر هذا الوضع حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس ميلادي⁶³.

لم تستطيع الدول البحرية السيطرة على الوضع الأمني و حراسة البحار. كان ينبغي على كل مدينة لها تجارة أن تحتفظ بأسطولها الخاص، لا لحماية سفنها التجارية ضد القراصنة الذين انتشروا في كل

⁵⁹ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص 28.

⁶⁰ - المرجع نفسه، ص. 29.

⁶¹ - فضل محمد جلال، المرجع السابق، ص. 24.

⁶² - جوفري ريكمان، بحرنا، البحر المتوسط، البحر والتاريخ، مطابع السياسة، الكويت، 2005، ص. 7.

⁶³ - ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص. 35.

مكان فحسب- إذ كان وجودهم كما كان من قبل له صفة المهنة المعترف بها- ، و إنما أيضا لصد الاعتداءات التي يقوم بها المنافسون التجاريون. كثيرا ما إعتدى القرطاجيون على السفن اليونانية و بالمقابل كان اليونانيون يعتدون على السفن القرطاجية، و أما المستقلون فيهاجمون الاثنيين⁶⁴.

وفيما يلي جدول يوضح أهم الاعمال التي قامت بها روما لمواجهة القراصنة⁶⁵

التاريخ	الحدث
267 ق.م.	الحملة الأولى ضد الليغورين (Les Ligures)
	الحرب البونية الأولى.
241-264 ق.م.	حملات ضد الليغورين.
236-238 ق.م.	حملات ضد الإليريين (Illyriens).
229 ق.م.	حملات ضد الإليريين.
219-220 ق.م.	الحرب البونية الثانية.
201-218 ق.م.	الحملة ضد الليغورين.
180-185-187 ق.م.	الانتصار على الليغورين.
175 ق.م.	إنشاء مقاطعة إليريا.
168 ق.م.	ديلوس (dèlos) الميناء الحر.
166 ق.م.	إستيطن روما في جزر الباليار.

⁶⁴ - ليونال كاسون، المرجع السابق، ص.106.

⁶⁵ - Malissard(A.), Op-cit ,p,35-42.

إنشاء مقاطعة كيليكية (Cilicie) .	121-123 ق.م.
إحتلال اليونان من قبل ميتريداتس.	101 ق.م.
إستئناف الحرب الأهلية (أنصار مايروس ضد سولا).	87 ق.م.
دكتاتورية سولا.	83-82 ق.م.
إستئناف الحرب ضد ميتريداتس.	
إلغاء قوانين سولا على يد بومبي و كراسوس.	
الحرب ضد القراصنة (قانون غابينيوس) انتصار بومبي.	82-79 ق.م.
الحرب الثالثة ضد ميتريداتس (قانون مانيليوس)	74-69 ق.م.
	70 ق.م.
	67 ق.م.
	66-62 ق.م.

نستنتج من الجدول الموضح أعلاه، أن روما اضطرت إلى قمع نشاط الليغوريين في وقت مبكر جدا، هؤلاء الذين كانوا يعطلون باستمرار حركة المرور و نحو بلاد الغال، و بمساعدة الفوكيين في مارسيليا، هجمتهم في عام 238 ق.م ، عندما إستولت على كورسيكا و سيردينيا، في نهاية الحرب البونية الأولى تم القضاء عليهم في عام 236 ق.م . و لتأمين التجارة مع إسبانيا و استكمال غزوها كان من الضروري احتلال جزر الباليار، وتم السيطرة على كيليكيا بعد سلسلة من المعارك ضد القراصنة.

الخاتمة:

نستنتج من خلال هذه الدراسة وصلنا إلى جملة من النتائج كان من أهمها: أن ظاهرة القرصنة البحرية برزت منذ أن ارتاد الانسان البحر، لكن يبدو أن تاريخ ظهورها لم يتفق عليه من طرف المؤرخين المحدثين، إلا أن البعض منهم يرى أنها ظهرت خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ولم تقتصر ظاهرة القرصنة البحرية على اليونانيين باعتبارهم من أقدم الشعوب البحرية، بل امتدت هذه الظاهرة إلى حضارات أخرى نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: المصريين والقرطاجيين و الرومان والبرابرة...إلخ وغيرهم من الشعوب والقبائل التي كانت تستوطن شواطئ البحر المتوسط، وكانت كيليكية من أهم جزر البحر المتوسط التي استخدمت كقاعدة للقراصنة، وقد تمت عمليات الإغارة على كامل السفن التي تعبر البحر محملة بالسلع و الافراد الذين يتم خطفهم وبيعهم كعبيد في الأسواق، ولعل أهم شخصية تم خطفها في التاريخ القديم هو يوليوس قيصر حوالي سنة 75 ق.م.

ولما أصبحت ظاهرة القرصنة البحرية تهدد أمن وسلامة التجار والتجارة في البحر المتوسط، عمدت الدول البحرية على مكافحتها بشتى الطرق كالقيام بحملات عسكرية أهمها الحملات التي قام بها بومبي لتأمين الملاحة الرومانية في البحر المتوسط من خطر القراصنة، ومع ذلك فإن هذه السيطرة على البحر هي في حد ذاتها قرصنة بحرية، كون تلك الحملات تمنع أي سفينة تمر في المياه التي تسيطر عليها مثلما فعلت قرطاجة في أوج ازدهار وحدا حدوها الرومان حين فرض سيطرتهم على البحر المتوسط و اسموه Mar Nostrum أي بحرنا.

وعلى العموم، يمكن القول أن ظاهرة القرصنة البحرية قد ظهرت وانتعشت بظهور وانتعاش التجارة البحرية، ولم تختف نهائيا بل تم الحد من انتشارها بمكافحتها وإصدار القرارات ضد قراصنتها.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

I- المراجع باللغة العربية:

- 1- ياتسيك ماخوفسكي، تاريخ القرصنة في العالم، تر، أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008.
- 2- ليونال كاسون، رواد البحر، تر، جلال مظهر، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1959.
- 3- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، العصور القديمة، ج.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

- 4- مفتاح محمد سعد البركي، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م و اثره على الحياة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية و الدينية، مجلس الثقافة العام، دون تاريخ.
- 5- أحمد علو، القرصنة بين العصور القديمة وعصر التكنولوجيا، مجلة الجيش، العدد 283، كانون الثاني، 2009.
- 6- ستيفان قزال، تاريخ شمال إفريقيا، الحضارة القرطاجية، تر، محمد التازي مسعود، ج.4، الرباط، 2007.
- 7- جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، تر، محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة، طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
- 8- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
- 9- جوفري ريكممان، بحرنا، البحر المتوسط، البحر والتاريخ، مطابع السياسة، الكويت، 2005.
- 10- محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
- 11- ه.ج. ويلز، موجز تاريخ العالم، تر، عبد العزيز توفيق جاويد، حقوق الطبع الورقي محفوظة للمؤلف، القاهرة، 1958.
- 12- ارنل برادفورد، البحر المتوسط، حضاراته وصراعاته، تر، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2009.
- 13- مجموعة من المؤرخين، الموسوعة العربية المسيرة، شركة أبناء شريف الأنصاري
- 14- جلال فضل محمد، القرصنة البحرية وحرية أعالي البحار، جامعة عدن، 2014.
- 15- بهجت عبد الله قايد، مفهوم القرصنة البحرية و شكلها في العصور القديمة و الحديثة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 1990.

II- المراجع الأجنبية:

- 1- Adrian Goldsworthy, The fall of Carthage, the punic wars 265- 146 bc, Phonix ,London.
- 2- Maurice Sartre et Alain Tranoy, La Méditerranée antique, III av j-c – III ap j-c, Zeme éd, Armand Colin, Paris, 1990.
- 3- Jean Carpentier et François Lebrun, Histoire de la Méditerranée, éd. Seuil, 2001.

- 4- Michel Reddé et Jean Claude Golvin, voyage sur la Méditerranée romaine, éd. Errance, France, 2005.
- 5- Malissard (A.), Les Romains et la mer, les belles lettres, Paris, 2012 .
- 6- Demerliac (J.G.) et Meirat (J.), Hannon et l'empire Punic, les belles lettres, Paris, 1983.
- 7- Barkaoui (A.H.), La marine Carthaginoise, approche des activités militaires des Carthaginois sur mer depuis les origines jusqu'en 146 av. J-C. L'Or du temps, Sfax, 2003.